

دراسة

دور مواقع التواصل الإجتماعي في معركة "سيف القدس"



المصدر: فريق مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير



تاريخ الإصدار: 15 حزيران / يونيو 2021



مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير
Union Center for Research and Development



دور مواقع التواصل الاجتماعي في معركة "سيف القدس"

ثمة مصطلحات جديدة بدأ تداولها في الصراعات منذ بدء الألفية الجديدة في ظل التطور الاتصالي المطرد عالمياً. مصطلحات مثل "الديبلوماسية الإلكترونية" و "ثورات تويتر وفيسبوك" وليس أخيراً "انتفاضة تيك توك"، بدأ التعامل معها بشكل عرضي دون أن تتعدى التسميات في الأروقة السياسية. في السنوات العشر الأخيرة، وفي ظاهرة عالمية، بدأت مسارات جديدة تتشكل على صعيد الصراعات. فالتطور الاتصالي أنتج تطوراً حضارياً نعيش مخاضاته اليوم، ونشهد إرهاباته الثقافية والأيدولوجية في كافة الميادين السياسية والديبلوماسية وحتى العسكرية. لقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي أحد المسارات التي لا مفر منها في كل صراع دولي، بعدما تشكل فهم واضح للإمكانيات الحقيقية للاتصالات عبر الانترنت لدى الشعوب والحكومات، وقد حصل أغلبه بسياق تطوري طبيعي.

يمكن القول إن التجربة الأحدث لهذا المسار هو المشهد البارز والواضح الذي قدمه المدنيون الفلسطينيون على مواقع التواصل الاجتماعي في حرب غزة الأخيرة والذي أدى إلى تراجع السردية الإسرائيلية التي طالما كانت منتصرة لدى المجتمع الدولي.

ومهما كان من حال في نتائج الحرب، إلا أن ما بعد الشيخ جراح ليس كما قبله، أفضل الشعب الفلسطيني احتفالات كان يعتزم الاحتفال تنظيمها في القدس في ذكرى إتمام احتلالها (1967)، وقد فرض بذلك سيادته ولو رمزياً على المدينة. وهو الأمر الذي يعيد الكيان نقلات إلى الوراء فيما يتعلق بهوية الدولة والمشروع الصهيوني في فلسطين التاريخية. إلى ذلك، فإن جهود التطبيع السرية والعلنية قد انفجرت فقاعتها.

وعلى الرغم من الجهود السياسية في الضغط على إدارة شركات مواقع التواصل، إلا أن مستوى الرقابة والقيود والحجب كان أقل بكثير من الزخم الذي قدمه الناشطون للقضية الفلسطينية، كما تم تسجيل عجز هذه الشركات عن إدارة المحتويات أو ضبط المحتوى الفلسطيني، خاصة بعدما أصبحت مدانة بسبب مراقبته، ومتهمة بتدمير أدلة جرائم الحرب الحاصلة. خاصة بعدما انفلشت الأحداث الأخيرة أمام المجتمع الدولي كقضية حقوق إنسان ودعمتها المنظمات المدنية في مختلف أنحاء العالم، وهذا يعتبر خرقاً مهماً لا يمكن تجاهله. بالإضافة إلى أنه لأول مرة ثمة أصوات في الكونغرس تهاجم إسرائيل. حيث وصفت "إسرائيل" بأنها "دولة فصل عنصري" ولأول مرة يتم اتهامها هناك بارتكاب "أعمال إرهابية".

أولاً: مواقع التواصل والصراعات الدولية

كان النزاع الأرمني الأذربيجاني مثلاً بارزاً في أواخر العام الماضي، إذ استطاع كلا الجانبين خوض حرب معلومات، وإخراج الصراع من المجتمع المحلي الضيق كما كان الحال في الصراعات التي تسيطر عليها قوى إقليمية معينة، إلى

أن يصبح أطراف الصراع عالميين. ربما لم يكن الكثير من الرأي العام في المجتمع الدولي يهتمون بما يجري في تلك البقعة البعيدة وغير المشهورة من الأرض، إلا أن الفيديوهات التي تنتشر عبر الشبكة العنكبوتية العالمية كالجائحة، أخرجت كل النزاعات من المحلية إلى العالمية. كما أخرجتها من قبضة الطرف الأقوى أو المسيطر، فكيف إذا كان النزاع هو أصلاً نزاع ساخن على المستوى العالمي وهو الصراع العربي الإسرائيلي، القائم في البقعة الأسخن من العالم. في عام 2010، أطلقت إدارة الضفة الغربية حملة دبلوماسية لمحاولة اعتراف الأمم المتحدة بالدولة الفلسطينية حول حدود عام 1967. أعربت العديد من الحكومات عن دعمها لحكومة الضفة الغربية، معلنة اعترافها بالدولة الفلسطينية. وفي رده على هذه الخطوة الدبلوماسية، علق نائب وزير الخارجية الإسرائيلي على أن اعتراف الدول الأجنبية بفلسطين يشبه النقر على "أعجبي" على فيسبوك. وفي المقابل، علق رئيس الوزراء الفلسطيني حينها سلام فياض قائلاً إن الفلسطينيين يسعون إلى أكثر من "دولة على فيسبوك". وبينما استخدمت المنصات الأخرى اصطلاحات تسمية مختلفة، مثل الإدخالات المنفصلة للضفة الغربية وقطاع غزة أو الأراضي الفلسطينية أو الأراضي الفلسطينية المحتلة، كان Facebook أول منصة وسائط اجتماعية تضيف فلسطين إلى قائمة الدول الخاصة بها. جاء اعتراف فيسبوك بفلسطين كدولة نتيجة لنشاط شرس من المستخدمين تم تنظيمه، وفرض نفسه. إذ تقدّم بالتماس لإضافة فلسطين أو عدم إزالتها من قائمة الدول على المنصة، وهذا ما حصل. بناءً على طلبات المستخدمين، تمت إضافة فلسطين أولاً إلى قائمة الدول على Facebook، ثم سُطبت من القائمة، وأعيد إدراجها في النهاية. في عام 2008، احتج المستوطنون الإسرائيليون أيضاً على فيسبوك لتحديد عناوينهم على أنها تعيش في فلسطين. ثم سمح فيسبوك للمستوطنين الذين يعيشون في ثلاث مستوطنات كبيرة باختيار إما إسرائيل أو فلسطين كوطن لهم.

كانت منصات وسائل التواصل الاجتماعي التي تعرض معلومات جغرافية مثل خرائط جوجل وفليكر أيضاً مواقع نزاع مستمر حول وضع الأراضي الفلسطينية أو عدم وضعها، وحول التحريفات لحدود إسرائيل¹.

لا يقتصر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على المدنيين ولا تقتصر نتائجه على المدنيين فقط. يشير توماس مايفيلد في كتابه استراتيجية القيادة لوسائل التواصل² إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي "لديها القدرة على مساعدة القوات المسلحة على فهم البيئة التي تعمل فيها بشكل أفضل. قد تسمح وسائل التواصل الاجتماعي باستخدام أكثر مرونة

¹ Anat Ben-David, Israeli-Palestinian Conflict and Social Media, January 2014, Sage Knowledge.

https://www.researchgate.net/publication/271272618_Israeli-Palestinian_Conflict_and_Social_Media?amp%3BenrichSource=Y292ZXJQYWdIOzI3MTI3MjYxODtBUzo3MzY2ODQ1MTM2OTc3OTJAMTU1MjY1MDY4MzAzMQ%3D%3D&%3Bel=1_x_2&%3B_esc=publicationCoverPdf

² Thomas D Mayfield, A Commander's Strategy for Social Media, Joint Forces Quarterly (National Defense University Press), January 2011.

https://www.researchgate.net/publication/235040014_A_Commander's_Strategy_for_Social_Media

للمعلومات في دعم العمليات، ويمكن تسخيرها للمساعدة في تحقيق وحدة الجهود مع الشركاء في النزاع". وبالمثل، "يمكن لوسائل التواصل الاجتماعي أن توفر وسيطاً استراتيجياً للجهات القتالية من أجل كسب ساحات القتال الأخرى من خلال إغراء التعاطف ودعم وإحباط معنويات الأعداء"، يقول فيليب سيب في كتابه "الدبلوماسية في الوقت الحقيقي: السياسة والسلطة في عصر وسائل التواصل الاجتماعي".

ثانياً: كيف استخدم الجيش الإسرائيلي مواقع التواصل المختلفة

يعتبر الإسرائيليون أن وسائل التواصل الاجتماعي مهمة لدعم الدبلوماسية العامة³، وقد طور الجيش الإسرائيلي "استراتيجية معلوماتية استباقية، تتضمن أدوات ووسائل التواصل الاجتماعي، جنباً إلى جنب مع حشد دعم المجتمعات الإسرائيلية عبر الإنترنت، لوضع جدول الأعمال في وسائل الإعلام والسيطرة على تصورات القتال. وكانت النتيجة أن الإسرائيليين استخدموا المعلومات بشكل فعال للحفاظ على الخيارات الاستراتيجية التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم⁴.

خلال الحرب على غزة في 2008-2009، أذاع الجيش الإسرائيلي على قنواته على موقع يوتيوب "مقاطع للمراقبة والغارات الجوية، لتصوير أسلحته على أنها دقيقة، وإظهار قيادته التكنولوجية في ساحة المعركة". وكانت سياسة الحكومة الإسرائيلية للفوز بالفضاء الافتراضي ودعم الجيش بمثابة بداية لجامعة تعمل على تسليح مجموعة من الطلاب تسمى "ساعدنا على الفوز" بأجهزة كمبيوتر من أجل الوصول إلى منصات التواصل الاجتماعي وإخبار العالم بالقصة الإسرائيلية عن الحرب⁵.

على غرار الحرب السابقة، قام الجيش الإسرائيلي في حرب 2014، ببث مقاطع فيديو على وسائل التواصل الاجتماعي حول أهدافه في غزة، بما في ذلك الأنفاق التي يستخدمها الفلسطينيون⁶. العديد من التقارير الإعلامية أكدت أن

³ Dora Mekouar, Gaza: Social Media Amplifies New Voice in Mideast Conflict, 31 July 2014, VOA News.

<https://www.voanews.com/middle-east/gaza-social-media-amplifies-new-voice-mideast-conflict>

⁴ Hatem El Zein & Ali Abusaleem, Social Media and War on Gaza: A Battle on Virtual Space to Galvanise Support and Falsify Israel Story, May 2015, Athens Journal of Mass Media and Communications- Volume 1.

https://www.researchgate.net/publication/305719299_Social_Media_and_War_on_Gaza_A_Battle_on_Virtual_Space_to_Galvanise_Support_and_Falsify_Israel_Story

⁵ Will Ward, Social media in the Gaza conflict, Jan 2009, Arab Media & Society.

https://www.arabmediasociety.com/wp-content/uploads/2017/12/20090122130305_AMS7_Will_Ward.pdf

⁶ Paul Mason, Truth and propaganda: the other two foes in Gaza's war, 10 Aug 2014, The Guardian.

<https://www.theguardian.com/commentisfree/2014/aug/10/truth-propaganda-foes-gaza-war-independent-journalism>

الكيان الصهيوني لم يقدم محتوى متناسب من الاتجاهات العالمية. وأن التفاعل معه كان ضئيلاً نسبة للحروب السابقة.

أما في الحرب الأخيرة التي أسماها "حارس الأسوار"، سلط العديد من المراقبين الضوء على الاختلافات في الحسابات الاجتماعية للجيش الإسرائيلي باللغتين العبرية والإنجليزية. في حساب Instagram العبري للجيش الإسرائيلي، تميل القصص إلى أن تكون عدوانية وعسكرية، وغالبًا ما تتضمن لقطات لمباني في غزة يتم قصفها، مع طوابع الوقت والمكان. وفي الوقت نفسه، على الحساب الإنكليزي، غالبًا ما يكون المحتوى أكثر دفاعية، حيث يقدم إسرائيل كضحية في عمليات العنف، باستخدام الرسوم البيانية والتنسيقات الملونة.

في إحدى منشورات Instagram على حسابه باللغة الإنكليزية، قام الجيش الإسرائيلي بمحاكاة طريقة شعبية لمشاركة المعلومات من خلال إنشاء مجموعة من الرسومات مع الرسوم المتحركة و فقاعات الكلام لتبسيط سلسلة من الأحداث. وزعم معرضها - خلافا للحقائق - أن حماس هي المسؤولة حصرا عن جميع القتلى المدنيين في إسرائيل وغزة في الأيام الأخيرة.

في غضون ذلك، اتهمت النسخة الإنكليزية من الرواية زورًا عارضة الأزياء الفلسطينية ببلا حديد بالدعوة إلى "إلقاء اليهود في البحر"، بعد أن انضمت إلى ترنيمة شعبية مؤيدة للفلسطينيين، تقول "من النهر إلى البحر، ستكون فلسطين مجاناً".

وفي هذا السياق، يقول أرييه كوفلر، المحلل السياسي والباحث المستقل في القدس: "عادة ما تستخدم السلطات الإسرائيلية المعلومات المضللة والأخبار الكاذبة كجزء أساسي من دعايتها". وبحسب الصحافة الأحيوية فقد جاءت الاستخدامات الدعائية المضللة على الشكل التالي:

- قام متحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي بتغريد مقطع فيديو يزعم أنه يظهر فلسطينيين يطلقون صواريخ على منطقة مدنية في غزة - لكن الفيديو كان في الواقع من عام 2018 ويقع في مكان آخر، وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز⁷. في مقطع فيديو مدته 28 ثانية، نشره على تويتر هذا الأسبوع متحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، بدأ أن مسلحين فلسطينيين في قطاع غزة يشنون هجمات صاروخية على إسرائيليين من مناطق مدنية مكتظة بالسكان. على الأقل هذا ما قاله المتحدث باسم نتياهو، أوفير جندلمان، في الفيديو. لكن تغريدته مع اللقطات، التي تمت مشاركتها مئات المرات مع تصاعد الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين، لم تكن من غزة. لم يكن حتى من ذلك الأسبوع. بدلاً من ذلك، كان مقطع

⁷ Sara Fischer, Ashley Gold, Israeli-Palestinian fight spills over into social media, May 18, 2021, Axios. <https://www.axios.com/israeli-palestinian-fight-social-media-ab745237-3141-4eb7-96aa-8c19d5842477.html>

الفيديو الذي شاركه، والذي يمكن العثور عليه على العديد من قنوات YouTube ومواقع الفيديو الأخرى، من العام 2018. ووفقًا للتعليقات على النسخ القديمة من الفيديو، فقد أظهر مسلحين يطلقون صواريخ ليس من غزة ولكن من سوريا أو ليبيا⁸.

- زعمت منشورات أخرى منتشرة على نطاق واسع أن القوات الإسرائيلية غزت غزة. بعض هؤلاء دفعتهم التصريحات الرسمية على تويتر ووسائل الإعلام من جيش الدفاع الإسرائيلي التي تشير إلى أن إسرائيل قد أرسلت قوات إلى هناك. وقالت إسرائيل في وقت لاحق إن التقارير كانت خاطئة، لكن بعض التقارير الصحفية الإسرائيلية قالت إنها خداع تكتيكي متعمد⁹. "الغزو قادم"، هو المنشور الذي شد عصب الناس و"جعلهم يصلون من أجل عائلاتهم".

- عثرت التايمز على العديد من المعلومات المضللة التي انتشرت في الأحياء الإسرائيلية والفلسطينية ومجموعات WhatsApp الناشطة هذا الأسبوع. احتوت إحداها، التي ظهرت على شكل كتلة من النص العبري أو ملف صوتي، على تحذير من أن حشود فلسطينية تستعد للهبوط على المواطنين الإسرائيليين¹⁰.

- ناقشت العديد من وسائل الإعلام الإسرائيلية مؤخرًا مقطع فيديو يظهر عائلة تسير إلى جنازة بجسد ملفوف، فقط لإلقاء الجثة عندما انطلقت صفارة الإنذار من الشرطة. واستشهدت المؤسسات الإخبارية بالفيديو كدليل على أن عائلات فلسطينية تقيم جنازات مزيفة وتضخم عدد القتلى في الصراع¹¹. أظهر الفيديو المزيف لذي شاركه مستشار وزارة الخارجية الإسرائيلية، دان بوراز، مجموعة من المراهقين يفترض أنهم يحملون "جثة". عندما تسمع صافرات الإنذار بصوت عالٍ فجأة، يتفرق المراهقون - بما في ذلك "الجسد" - ويهربون. التقطت اللقطات في الواقع العام الماضي في الأردن من قبل مجموعة من الشباب يحاولون تجنب قيود Covid-19 من خلال التظاهر بإقامة جنازة¹².

- ربما في أكثر الحالات شهرة لنشر معلومات مضللة فيما يتعلق بالمشاهد في غزة، شارك المتحدث الرسمي باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي باللغة العربية، أوفير جيندلمان، مقطع فيديو زعم أنه يظهر حماس تطلق صواريخ على إسرائيل. كان المقطع في الواقع من عام 2018، ويظهر إطلاق صواريخ في محافظة درعا

⁸ Sheera Frenkel, Lies on Social Media Inflamm Israeli-Palestinian Conflict, May 14, 2021, New York times. <https://www.nytimes.com/2021/05/14/technology/israel-palestine-misinformation-lies-social-media.html>

⁹ Ibid, Israeli-Palestinian fight spills over into social media.

¹⁰ Ibid.

¹¹ Sheera Frenkel, Lies on Social Media Inflamm Israeli-Palestinian Conflict, May 14, 2021, New York times. <https://www.nytimes.com/2021/05/14/technology/israel-palestine-misinformation-lies-social-media.html>

¹² Rayhan Uddin, Israel-Palestine: How social media was used and abused, 21 May 2021, Middle East Eye. <https://www.middleeasteye.net/news/israel-palestine-social-media-used-abused-disinformation-manipulation-censorship>

السورية. تم تصنيف التغريدة في البداية على أنها "وسائط تم التلاعب بها" بواسطة Twitter ، قبل أن يحذفها Gendelman.

- كما نشر الحساب الرسمي للجيش الإسرائيلي على تويتر معلومات مضللة. شارك حساب جيش الدفاع الإسرائيلي (IDF) مقطوعاً يُزعم أنه يُظهر حماس وهي تدخل قاذفات صواريخ في أحياء مدنية. ومع ذلك، أظهرت اللقطات في الواقع سلاحاً خادعاً استخدمته إسرائيل خلال تدريب في شمال غرب البلاد. تمت إعادة مشاركة الفيديو بواسطة حساب Twitter تم التحقق منه "Stop Antisemites" ، والذي اعتذر لاحقاً عن المعلومات المضللة. في الاعتذار، أصر بشكل استفزازي على وصف اللقطات الفعلية بأنها جاءت من "حي ذي أغلبية مسلمة"، فيما بدا أنه محاولة واضحة لربط سلاح إسرائيلي بالفلسطينيين.
- تضمن مقطع فيديو يظهر فلسطينيين يضعون مساحيق تجميل على إصابات مزيفة ناجمة عن الهجمات الإسرائيلية. مقطع الفيديو، وهو في الواقع يعود إلى عام 2018 ، وكان جزءاً من تقرير إخباري عن فنان التجميل الفلسطيني.

منصة Act.II التابعة للجيش الإسرائيلي

تم تطوير منصة Act.II الإسرائيلية على الإنترنت في حزيران / يونيو 2017 ، وهي منصة كاملة متكاملة لتنظيم عمل الجيش الإلكتروني الإسرائيلي، من مهامها العمل على تجنيد وتنظيم جيش من القراصنة يتألف من آلاف الأشخاص لإدراج أنفسهم في المحادثات عبر الإنترنت فيما يتعلق بإسرائيل وفلسطين ، ولا سيما حركة BDS (المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات).

يتلقى المتصيدون تعليمات من المنصة بشأن المحتوى المؤيد لإسرائيل والمناهض للفلسطينيين لإعادة التغريد وإبداء الإعجاب، والتماسات للتوقيع. كما يتلقون قوالب التعليقات التي يتم تشجيعهم على نسخها ولصقها في إطار المناقشات ذات الصلة.

تم إطلاق Act.II بالشراكة مع وزارة الشؤون الإستراتيجية التي وصفها وزيرها بـ "قبة الحقيقة الحديدية". وقد تلقت تمويلاً وتوجيهات من الدولة الإسرائيلية. وقد تم وصف التطبيق بأنه "التسويق الماكر": نشاط علاقات عامة منظم ومخادع مدعوم من الحكومة والذي يخلق انطباعاً زائفاً بوجود حملة شعبية عفوية.

مايكل بويكرت، الباحث ونائب رئيس منظمة الكنديين من أجل العدالة والسلام في الشرق الأوسط، يدير حساباً على Twitter يراقب ويوثق تطبيق Act.II. قال لموقع Middle East Eye: "أحد الأهداف الرئيسية للتطبيق هو إبعاد

أنشطة مستخدميه عن الدولة الإسرائيلية أو مجموعات الضغط، وجعل نشاط وسائل التواصل الاجتماعي المؤيد لإسرائيل الذي يصممه يبدو عفويًا وحيويًا". .

قال بيوكيرت إن وزارة الشؤون الإستراتيجية لديها سياسة العمل مع المنظمات الأمامية "لإخفاء دور الدولة الإسرائيلية"، وأنه من الآمن افتراض أن الحكومة كان لها "دور أكبر في التمويل المستمر للتطبيق وعملياته مما هو معلن عنه للعامة".

في الحرب الأخيرة في أيار 2021، نظم التطبيق حملة عاصفة على تويتر تحت وسم "الحق في الدفاع عن النفس" و "إسرائيل تحت النار". كما استخدمت Act.II قناتها على Telegram خلال الأسبوعين الأخيرين لإرسال "بعثات" لمستخدميها لنشر خطاب معادي للفلسطينيين¹³.

ثالثًا: القيود والرقابة على المحتوى الفلسطيني

ترافقت أعمال العنف ضد غزة والمقدسيين مع أمثلة متكررة لقيود المحتوى وإزالته على وسائل التواصل الاجتماعي. أفاد موقع Middle East Eye في 7 مايو أنه قد أثرت مخاوف بشأن حذف محتوى وسائل التواصل الاجتماعي وتعليق الحساب فيما يتعلق بالحي.

منى الكرد ، الصحفية والمقيمة في الشيخ جراح التي تواجه الطرد من منزل عائلتها، تم تعليق حسابها على Instagram لفترة وجيزة لأنها وثقت الانتهاكات اليومية التي تحدث. كما أزيل شقيقها محمد الكرد بحجة "خطاب الكراهية" المزعوم، على الرغم من أنه كان يصور ببساطة عنف الشرطة دون تعليق نصي.

اشتكى سكان الشيخ جراح من أن قصصهم على إنستغرام تحظى بمشاركة أقل وعدد مشاهدات أقل لأسباب غير مبررة. وفي الوقت نفسه، في الشركة الأم لـ Instagram Facebook، تم تعطيل مجموعة "Save Sheikh Jarrh" التي تضم أكثر من 130.000 عضو مؤقتًا "لمخالفتها معايير المجتمع"¹⁴.

نظرًا لأن الفلسطينيين ومؤيديهم شاركوا صورًا ومنشورات حول العنف على Facebook و Twitter و Instagram، فقد لاحظ البعض أن محتوهم يختفي فجأة، أو شاهدوا منشوراتهم مُعلّمة لخرق شروط استخدام المنصات عندما

¹³ Ibid.

¹⁴ Rayhan Uddin, Israel-Palestine: How social media was used and abused, 21 May 2021, Middle East Eye. <https://www.middleeasteye.net/news/israel-palestine-social-media-used-abused-disinformation-manipulation-censorship>

لم يحدث مثل هذا الانتهاك. في بعض الحالات، تم تعليق حساباتهم؛ قام موقع تويتر بتقييد حساب الكاتبة الفلسطينية الأمريكية مريم البرغوثي، التي كانت تنشر صوراً ومقاطع فيديو لأعمال العنف في القدس، ثم أعاد لاحقاً حساب البرغوثي واعتذر عن التعليق، معلماً أنه تم عن طريق الخطأ¹⁵.

في حلقة نقاش ضمن برنامج الجزيرة ذا ستريم، قالت مروة فتافطة، من مجموعة Access Now المدافعة عن حقوق الإنسان، إن هذه ليست مشكلة جديدة، وقد تفاقمت مؤخراً. وقالت: "نشطاء وصحفيون ومستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي ينتقدون هذا النوع من الرقابة منذ سنوات". "لكنني أكتب عن هذا الموضوع لفترة طويلة، ولم أر أي شيء بهذا الحجم. إنه وقح للغاية ولا يصدق، إنه يتجاوز الرقابة - إنه قمع رقمي. إنهم يقمعون بنشاط رواية الفلسطينيين أو أولئك الذين يوثقون جرائم الحرب هذه"¹⁶.

تجاوزت القيود نشاط الشيخ جراح. مع اقتحام الشرطة الإسرائيلية للمسجد الأقصى لقمع المصلين بوحشية في الأيام الأخيرة من رمضان، على Instagram، تم إخفاء علامة التصنيف "الأقصى" مؤقتاً، بسبب ورود تقارير عن "بعض المحتويات التي قد لا تتوافق مع إرشادات مجتمع Instagram"، وفقاً للإشعار الذي تلقاه المستخدمون. وقد ألقى Facebook، الذي يمتلك Instagram، باللوم على "مشكلة تقنية عالمية واسعة النطاق لا تتعلق بأي موضوع معين"¹⁷.

إلى ذلك، نشرت Access Now سلسلة تغريدات على تويتر حول الرقابة التي تشمل محتوى فلسطينياً على Facebook و Twitter و Instagram و TikTok. وقالت المجموعة إنها تلقت "مئات التقارير التي تفيد بأن منصات التواصل الاجتماعي تقوم بقمع وسوم الاحتجاج الفلسطيني، وتمنع البث المباشر، وتحذف المنشورات والحسابات". وقد تم توثيق 12000 عملية رقابة على Instagram وحده منذ فترة بداية الأحداث في حي الشيخ جراح.

حملة المركز العربي لتطوير وسائل التواصل الاجتماعي أصدرت تقريراً بعنوان Hashtag Palestine، يبحث في عمليات الإزالة وحظر الحسابات المتعلقة بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني في عام 2020. وجدت أن فيسبوك امتثل لـ 81 في المائة من طلبات إسرائيل لإزالة المحتوى، والتي كان الكثير منها مرتبطاً بفلسطين. بالإضافة إلى عمليات

¹⁵ Mathew Ingram, Social networks accused of censoring Palestinian content, MAY 19, 2021, THE MEDIA TODAY.

https://www.cjr.org/the_media_today/social-networks-accused-of-censoring-palestinian-content.php

¹⁶ Mathew Ingram, Social networks accused of censoring Palestinian content, MAY 19, 2021, THE MEDIA TODAY.

https://www.cjr.org/the_media_today/social-networks-accused-of-censoring-palestinian-content.php

¹⁷ Ibid, Israel-Palestine: How social media was used and abused.

الإزالة كما ورد العديد من التقارير من المجموعات والأفراد الذين لم يتمكنوا من استخدام ميزات معينة، بما في ذلك "الإعجابات" والتعليقات، أو تم حظر البث المباشر أو إيقافه في منتصف البث¹⁸.

لقد تعرض عمالقة التكنولوجيا لتدقيق شديد، ووجدوا أنفسهم متهمين بمراقبة المحتوى الفلسطيني، وعاجزين أمام الفشل في قمع المعلومات المضللة، والسماح بالتحريض على العنف إلى جانب الإسرائيليين.

وسط كل مخاوف النشطاء الفلسطينيين، كانت الحكومة الإسرائيلية هي التي اجتمعت الأسبوع الماضي مع كبار المسؤولين التنفيذيين في تيك توك وفيسبوك. إذ حث وزير العدل والدفاع بيني غانتس شركات وسائل التواصل الاجتماعي على إزالة المحتوى العنيف والاستجابة بسرعة لنداءات مكتب الإنترنت الإسرائيلي.

وفي هذا السياق اعتبر ناشطون عالميون أن القضية الفلسطينية الأوسع هي قضية حقوق إنسان¹⁹. وقد علقت العديد من الجماعات الحقوقية على أن أي رقابة من قبل عمالقة وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن ترقى إلى مستوى تدمير الأدلة في توثيق جرائم الحرب، والتي تراقبها المحكمة الجنائية الدولية حاليًا فيما يتعلق "بالعنف الأخير"²⁰.

رابعًا: كيف استخدم الفلسطينيون مواقع التواصل لصالحهم

عام 2015 أطلقت المقاومة الفلسطينية حماس موقعًا رسميًا لها وفتحت حسابات متعددة على مواقع التواصل الاجتماعي، في خطوة كان هدفها "أن يسمع العالم منا لا أن يسمع عنا"، كما عبّر رئيس المكتب السياسي للحركة إسماعيل هنية. ووصف موقع حماس الرسمي، بأنه «وثيقة رسمية للحركة، وأرشيف وإرث لتاريخها»²¹. وذلك قبل أن يتم تقييدها على الشبكة العنكبوتية باعتبارها "منظمة إرهابية".

"لا تصل جهود وسائل التواصل الاجتماعي التي تبذلها حماس إلى كل الناس خلال الصراع، تقول دانا الكرد الأستاذة المساعدة في معهد الدوحة للدراسات العليا في قطر. وتضيف: "لا أرى أن حماس تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي بشكل فعال لأنها لا تصلني"²².

¹⁸ Ibid, Social networks accused of censoring Palestinian content.

²⁰ Ibid, Israel-Palestine: How social media was used and abused

²¹ كفاح زبون، "حماس تطلق موقعًا رسميًا لها وفتحت حسابات متعددة على مواقع التواصل الاجتماعي"، 23 مارس 2015، جريدة الشرق الأوسط، العدد 13264. <https://bit.ly/2TIOS65>.

²² Alex Ward, The "TikTok intifada", 20 May 2021, Vox. <https://www.vox.com/22436208/palestinians-gaza-israel-tiktok-social-media>

تعتقد "إسرائيل" بأن حماس مهما بلغت من قوة على مواقع التواصل الاجتماعي فإن تبقى مقيدة إلكترونيًا من قبل عمالقة التكنولوجيا، وتعتبر أنها انتهت من قدرة حماس الإلكترونية ولم تحسب حسابًا دقيقًا لقدرة الناشطين وخاصة المقدسيين.

فما هي العوامل التي جعلت من الطرف الأضعف حلقة أقوى، وأبرزته عالميًا:

- **التشبيك الاجتماعي:** استخدام الناشطين لمختلف المواقع أنتج جماعة افتراضية وفقًا لاهتمام مشترك وهو التضامن مع الفلسطينيين بسبب إجراءات التهجير القسري. وتم تجاوز الهوية الفردية للناشطين وانخرط الجميع في الهوية الاجتماعية للمقدسيين. النشر المكثف والتغريد على وسم #أنقذوا حي الشيخ جراح، وبأكثر من 15 لغة، استطاع خلق شبكة عالمية لفتت أنظار العالم لحقيقة ما يجري في الحي، وبينت أن ما يحدث ليس فقط مجرد إخلاء، وإنما تطهير عرقي تمارسه قوات الاحتلال منذ 73 عامًا، أي منذ النكبة.
- **توحيد الشعارات:** كان لافتًا هتاف الشباب المقدسيين باسم قائد هيئة الأركان في كتائب القسام محمد الضيف. عادة لا يهتف الفلسطينيون في المسجد الأقصى لأي شخصية بحسب المراقبين، لكنهم اجتمعوا على عنوان للمقاومة يرهب الاسرائيليين، فبات شعار "إحنا رجال محمد ضيف" الأكثر إجماعًا والأكثر ترديدًا في مدينة القدس على الرغم من الاعتقالات بسببه، وكانوا قد بدأوا بهذا الهتاف في بداية شهر رمضان عندما احتجوا على إغلاق الشرطة الإسرائيلية باب العمود أحد أبواب بلدة القدس القديمة أمامهم. ليعود في التظاهرات احتجاجًا على قرارات إخلاء الفلسطينيين من حي شيخ جراح.
- **توحيد الهدف:** كانت ثمة هدف واحد للناشطين الفلسطينيين وداعميهم على مواقع التواصل الاجتماعي، وهو وقف عملية الاستيطان في حي الشيخ جراح. كان وسم #أنقذوا الشيخ جراح هو الوسم الأساسي أما باقي الوسوم فقد كانت إضافات. وعلى الرغم من أنها جاءت في مراتب أدنى بكثير إلا أنها قدمت نتائج. وما ميّز وسم #أنقذوا حي الشيخ جراح أنه جاء كصيغة تعريفية لحدث واضح وهو بدوره كان واضحًا.
- **التحفيز:** كان الخبر الميداني والحدث على أرض الواقع هو المحفز الأول. نقل مشهد الإفطار الذي أقيم في حي الشيخ جراح، وعلى الجهة الأخرى مستوطنون يرشون المقدسيين بغاز الفلفل ويرمون عليهم الكراسي، كان أول عمليات التحفيز للمقدسيين لمزيد من المواجهات التي تم توثيقها ونشرها على مواقع التواصل، والتي بدورها جعلت نبض الناس لا يهدأ. وكان البث المباشر لنقل الأحداث الجارية صورًا بألف كلمة ولا تحتاج إلى تحليل أو تعريف، سواء كانت اعتداءات أو مشاهد انتصار مثل الصلاة في مسجد الأقصى، أو فيديو تحدي المقدسيين للجنود الإسرائيليين ليلة إعلان وقف النار عندما ذهبوا إلى المسجد الأقصى.
- **الارتباط:** ارتبط الناشطون في الأحياء المقدسية مع بعضهم على الرغم من فرض حظر التجول، كما ارتبطوا بباقي المناطق الفلسطينية وغزة، في حركة متدفقة وعفوية لم تتمكن مواقع التواصل الوقوف في وجهها على

الرغم من الإجراءات التي قامت بها، إذ كان يقود هذا التدفق الحدث على أرض الواقع وبشكل تلقائي. وقد شهد الميدان ارتباطاً عفويًا لافتاً في أشكال الهجوم، مثل الهجوم على نقاط جيش العدو وأبراجه جنوب الضفة، إلى إحراق برج عسكري وإطلاق نار من سيارة مسرعة باتجاه مجموعة من جنود الاحتلال، ثم إطلاق نار باتجاه جيب عسكري بالقرب من حلحول، وغيرها من «الأحداث الأمنية» في مناطق أخرى. وامتازت هذه الهبة بأنها تجمع أنواعاً عديدة من الهجمات، ما بين شعبي وعسكري وحتى سلمي، وأمام تصاعد المواجهات، وقيادة «حماس» عدداً من المسيرات نحو نقاط التماس، ومع انتفاض الشباب، وجدت «فتح» نفسها مجبرة على محاولة ركوب الموجة بأيّ طريقة، لتشارك في الإضراب المفتوح الذي حصل في 18 أيار/ مايو الذي شمل فلسطين كلها²³.

كيفية تظهير الرسالة عالمياً:

- **لغات:** انتشر وسم أنقذوا الشيخ جراح ب 13 لغة، وبهذه اللغات انتشرت أيضاً المقالات الصحفية والمحتويات الإعلامية في نشرات الأخبار وغيرها.
- **منصات:** مجموعة من المنصات التي لها انتشار واسع عالمياً أغلبها منصات "تنويرية" لا تتعاطى الشأن السياسي، حضرت فيها القضية الفلسطينية بقوة. ومن هذه المنصات منصة Vice التي عرضت أفلام قصيرة حيث نزلت مراسلتها إلى الميدان وبدأت بتصوير المواجهات الحية بين المقدسيين والإسرائيليين وقامت بمقابلات معهم وهم في أرض الحدث. هذه الأفلام تم بثها باللغة الإنكليزية وحصلت على أكثر من 6 ملايين مشاهدة حول العالم من مناطق ولغات مختلفة.
- **المصدقية:** لم يكن يمكن لأحد أن ينكر أو يشوّه الأحداث التي كان يتم نقلها مباشرة، أو ينقلها صحافيون عالميون محايدون، ولم تستطع "إسرائيل" أن تدحض الاتهامات الموجهة لها من خلال الفبركة والتضليل على الرغم من محاولاتها.
- **تعدد الوسائط وأنواع المحتوى:** تطوير محتوى صفحة أنقذوا حي الشيخ جراح وتحديثها، ساعد في تسليط الضوء أكثر، وجذب المزيد من المؤيدين والمناصرين للقضية من كل أنحاء العالم، كما أن الندوات التي حصلت على تطبيقات الصوت مثل CLUB HOUSE وتطبيقات اللقاءات عبر الفيديو كان لها دور فاعل في نشر الأحداث. ويعود ذلك إلى أسباب تقنية وأسباب موضوعية، الأولى لها علاقة بالخوارزميات تجعل الفيديو أكثر الوسائط انتشاراً، والثانية لها علاقة بطبيعة المحتوى الفيروسي، إذ ثمة محتويات يكون انتشارها VIRAL بسبب قدرتها على الجذب.

²³ مي رضا، توحد مع المقاومين وانفضاض عن السلطة: الضفة تدع في المواجهة، 18 أيار 2021، جريدة الأخبار.

- **نقل الحدث بتجرد:** النشر والتغريد بتلقائية وعفوية وصدق عبر منصات التواصل، أسقط الرواية الإسرائيلية التي كان الاحتلال يدعي فيها بأنه الطرف المعتدى عليه، حيث أظهرت الصور والفيديوهات حقيقة ما يجري في الحي، ومن هو المعتدي الحقيقي، حيث كانت الضربات أقرب إلى التنكيل منها إلى العمل العسكري المهني، وعلى الرغم من عدم وضوح استراتيجية للأهداف الاسرائيلية بعكس المقاومة الفلسطينية، فإن سياسة التدمير الممنهج كانت واضحة للمراقبين العالميين²⁴.

خامساً: تراجع ميزة إسرائيل في معركة وجهات النظر واكتساب الجمهور العالمي

عادة ما يكافح الفلسطينيون وحلفاؤهم من محور المقاومة والممانعة من أجل اختراق روايتهم على الإنترنت، لكن ليس بعد الآن²⁵، لا ريب أن لدى إسرائيل ميزة عسكرية في صراعها المستمر مع المقاومة الفلسطينية، لكن في الكفاح للسيطرة على الرواية العامة للصراع، يبدو أن ميزة إسرائيل تتراجع.

في جولات الصراع السابقة، كانت الحكومة الإسرائيلية في كثير من الأحيان قادرة على الاستفادة من قنوات التواصل الاجتماعي الرسمية المتبعة على نطاق واسع، وكذلك على تصريحات القادة، للمساعدة في تشكيل السرد لصالحها، وتصوير نفسها على أنها أمة تتعرض للهجوم ظلماً مع الدولة الوحيدة، هدف الدفاع عن نفسها.

لكن هذه المرة، حقق الفلسطينيون الذين تحدثوا علناً ضد الاحتلال الإسرائيلي وقصفه العسكري الساحق لغزة نجاحاً أكبر بكثير في سرد جانبهم من القصة على وسائل التواصل الاجتماعي - مما أدى إلى تآكل ميزة إسرائيل في معركة وجهات النظر واكتساب جمهور متحمس على المستوى العالمي.

من إنشاء مقاطع فيديو تضامنية على TikTok إلى استخدام Twitter لتنظيم احتجاجات دولية إلى نشر مقاطع فيديو على Instagram تظهر الضربات الجوية الإسرائيلية على غزة، جعل الفلسطينيون والمتعاطفون من جميع أنحاء العالم من وسائل التواصل الاجتماعي سلاحاً مركزياً في الحرب السردية ضد إسرائيل. يتم نشر هذه الأسلحة على عدة جبهات: باستخدام منصات مختلفة لاستهداف جماهير متعددة - في المنطقة وحول العالم - مع استخدام التطبيقات بحسب رواجها في كل دولة.

²⁴ علي حيدر، مازق الردع الإسرائيلي يتعمق: بحثاً عن «انتصار» الحد الأدنى، 18 أيار 2021، جريدة الأخبار.
<https://bit.ly/3go82B3>

²⁵ Alex Ward, The "TikTok intifada", 20 May 2021, Vox.
<https://www.vox.com/22436208/palestinians-gaza-israel-tiktok-social-media>

قال مايكل برونيغ، المدير التنفيذي لمكتب فريدريش إيبيرت ستيفتونغ الألماني في نيويورك ، "إنها مثل انتفاضة تيك توك"، مستخدماً المصطلح العربي المستخدم لوصف الانتفاضات الفلسطينية السابقة أي "Tik Tok Intifada".

لقد سمحت الاتصالية الجديدة للأصوات الفلسطينية وقصصهم بالظهور خلال الأزمة بينما أضعفت الاحتكار المعتاد الذي تتمتع به الحكومة الإسرائيلية للوسائل. إنها رصيد لا يريد الفلسطينيون خسارته²⁶.

عندما نزل سكان القدس الشرقية إلى الشوارع احتجاجاً، قاموا بتوثيقها باستخدام هاشتاغ #FreeSheikhJarrah. محمد الكرد، كاتب فلسطيني شاب تواجه عائلته احتمال إبعاد إسرائيل عن منازلهم التي عاشوا فيها لسنوات في الشيخ جراح، اكتسب اهتماماً دولياً وسرعان ما أصبح حضوره بارزاً ودائماً على وسائل التواصل الاجتماعي وأيضاً في الأخبار التلفزيونية الفضائية.

حسابه على تويتر، الذي يتابعه 144 ألف متابع، يشبه اليوميات - نافذة على حياة فلسطيني يعيش تحت الاحتلال. عندما اعتقلته القوات الإسرائيلية في مقطع فيديو تم تداوله، أصيب متابعوه على تويتر بالذعر بشكل جماعي حتى أكد أنه بأمان. كتب في 12 مايو - أيار: "مرحباً، أنا بخير وغير خائف". حصل المنشور على أكثر من 44000 إعجاب. يوم الأربعاء، شارك في حلقة زووم تم بثها على الهواء مباشرة حول التضامن الأسود والفلسطيني، والتي ضمت أيضاً الناشطة أنجيلا ديفيس. وقال الكرد خلال الحدث، "لولا عودة حركة Black Lives Matter بعد وفاة جورج فلويد، لما كنا هنا اليوم من حيث التحول العام في الرأي العام بشأن فلسطين"²⁷.

وكان قد تحدث لشبكة CNN، واصفاً محاولة إجلاء عائلته من منزلهم في الشيخ جراح: "إنه ليس إخلاءً حقاً، إنه تهجير عرقي قسري، لكي أكون دقيقاً، لأن الإخلاء ينطوي على سلطة قانونية". "في حين أن الاحتلال الإسرائيلي ليس له ولاية شرعية على الأجزاء الشرقية من القدس المحتلة بموجب القانون الدولي، فإنه يعني أيضاً وجود مالك".

في اليوم التالي لمقابله، أبعدهت القوات الإسرائيلية عن الشيخ جراح - في لحظة تم التقاطها على مواقع التواصل الاجتماعي.

يقول نشطاء مؤيدون للفلسطينيين إن الوقت قد فات على المسؤولين الإسرائيليين أو شركات التكنولوجيا لقلب التيار على وسائل التواصل الاجتماعي. إسرائيل والصهيونية تخسران حرب العلاقات العامة. لا توجد طريقة فعلية لتبرير

²⁶Sanya Mansour, How Online Activism and the Racial Reckoning in the U.S. Have Helped Drive a Groundswell of Support for Palestinians, 21 MAY 2021, Time.

<https://time.com/6050422/pro-palestinian-support/>

²⁷ Alex Ward, The "TikTok intifada", 20 May 2021, Vox.

<https://www.vox.com/22436208/palestinians-gaza-israel-tiktok-social-media>

هذا النوع من القومية والقمع في عام 2021"، كما يقول أبو زيد عن الحملة الأمريكية من أجل حقوق الفلسطينيين. "لا يُقال لهذا الجيل من الناس الذين نشأوا أن المساواة والعدالة والحرية هي قيم للجميع"²⁸.

في الماضي، كان من النادر لأي شخصية بارزة - في مجال الترفيه، أو الرياضة، أو الأعمال - التعبير عن دعمها للفلسطينيين. غالبًا ما يكون القيام بذلك مكلفًا للغاية فيما يتعلق بالآفاق الوظيفية أو الإدراج على القائمة السوداء على مواقع الويب مثل Canary Mission التي تحتفظ بملفات مفصلة ومضللة لمؤيدي القضية الفلسطينية. إلا أن هذه المرة كانت مختلفة جدًا.

جيجي وبيلا حديد، عارضتا الأزياء من أصل فلسطيني. جيجي لها أكثر من 66 مليون متابع على Instagram نشرت على حسابها أنه "لا يمكنك اختيار من تكون حقوقه الإنسانية أكثر أهمية". في إشارة إلى التمييز القائم بحق الفلسطينيين.

ونشر حساب الموضة الأمريكي على إنستغرام Diet_Prad رسماً كاريكاتورياً يطلب من متابعيه البالغ عددهم 3 ملايين "الوقوف مع المظلومين" - واصفاً الإسرائيليين بـ "الظالمين".

ثم هناك غال غادوت، الممثلة الإسرائيلية المشهورة بفيلم Wonder Woman، غردت قائلة: "تستحق إسرائيل أن تعيش كدولة حرة وآمنة، وجيراننا يستحقون نفس الشيء". كان هذا التصريح لافتاً من غادوت، وقد عطلت التعليقات على التغريدة بسبب الانتقادات اللاذعة التي تلقتها، خاصة أنها جنديّة سابقة في الجيش الإسرائيلي والأولى أن تنشر "دعاية" لبلدها²⁹.

وفي مجال الترفيه، كرّس المضيف جون أوليفر مؤخرًا جزءًا كبيرًا من برنامجه HBO للأحداث، موضحًا عدم التناسق في الصراع الذي أدى إلى مقتل ما لا يقل عن 232 فلسطينيًا من بينهم 65 طفلًا، وفي 12 شخصًا بينهم طفلان من الطرف الإسرائيلي. كلا الجانبين يطلقان صواريخ، لكن أحد الجانبين لديه واحد من أكثر الجيوش تقدمًا في العالم. كلا الجانبين يعانيان من خسائر مفرجة، لكن أحد الجانبين يعاني منهم بشكل كبير"، قال أوليفر.

أصبح النضال الفلسطيني أيضًا قضية مؤثرة لأشخاص مثل الموسيقين زين مالك و The Weeknd وكذلك الممثلين فيولا ديفيس وسوزان ساراندون ومارك روفالو، المشهور بنشاطه التقدمي ودوره في امتياز Marvel's Avengers. يقول عامر زهر، ناشط فلسطيني أمريكي ورئيس منظمة الجيل الجديد من أجل فلسطين ومقرها الولايات المتحدة:

²⁸ Sanya Mansour, How Online Activism and the Racial Reckoning in the U.S. Have Helped Drive a Groundswell of Support for Palestinians, 21 MAY 2021, Time.

<https://time.com/6050422/pro-palestinian-support/>

²⁹ Alex Ward, The "TikTok intifada", 20 May 2021, Vox.

<https://www.vox.com/22436208/palestinians-gaza-israel-tiktok-social-media>

"عندما يخرج شخص مثل مارك روفالو ويقول إن فلسطين حرة، يكون الناس أقل تحفظاً ... وهذا يرفع معنويات النشطاء".

علاوة على ذلك، يتحدث الناس من مذييعي الأخبار إلى المؤثرين والمشاهير على وسائل التواصل الاجتماعي الآن عن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية بطريقة مختلفة. هذا العام، قررت كل من منظمة هيومن رايتس ووتش الحقوقية الأمريكية ومجموعة بتسيلم الحقوقية الإسرائيلية أن المسؤولين الإسرائيليين مذنبون بارتكاب جريمة الفصل العنصري، وأصبحت المصطلحات التي كانت تستخدم في السابق إلى حد كبير فقط من قبل النشطاء المؤيدين للفلسطينيين، أكثر انتشاراً في الخطاب السائد.

من بين أولئك الذين استخدموا مصطلح الفصل العنصري لوصف السياسة الإسرائيلية، رئيس جنوب إفريقيا سيريل رامافوزا، ورجل الدين الجنوب أفريقي ديزموند توتو، وأنجيلا ديفيس، وعلى فيلشي من MSNBC وأعضاء ديمقراطيين تقدميين في الكونجرس مثل النائبة إلهان عمر ورشيدة طليب. "إن انتقاد إسرائيل يمثل هذه العبارات القاسية التي لها ما يبررها، مثل استخدام كلمات مثل "الفصل العنصري" أو "التطهير العرقي" لم تعد مواقف هامشية راديكالية لا يمكن قولها بعد الآن كما يقول إتش إيه هيلبير، خبير الشرق الأوسط وباحث في مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي³⁰.

والجدير ذكره أنه لم يُلاحظ أنّ أحداً من المشاهير العرب قد أظهر الدعم الإلكتروني أو التضامن على أقل تقدير، ومن حضر منهم كان حضوره خجولاً بدون أي نشاط يُذكر.

سادساً: لماذا نجحوا هذه المرة؟

ما بعد الشيخ جراح ليس كما قبله، أفضل الشعب الفلسطيني احتفالات كان يعتزم الاحتفال تنظيمها في القدس في ذكرى إتمام احتلالها (1967)، وقد فرض بذلك سيادته ولو رمزياً على المدينة³¹. وهو الأمر الذي يعيد الكيان نقلات إلى الوراء فيما يتعلق بهوية الدولة والمشروع الصهيوني في فلسطين التاريخية. إلى ذلك، فإن جهود التطبيع السرية والعلنية انفجرت فقاعتها بسبب الأحداث الأخيرة ووقفت الأنظمة المطبوعة عاجزة أمام شعوبها.

³⁰ Ibid, How Online Activism and the Racial Reckoning in the U.S. Have Helped Drive a Groundswell of Support for Palestinians.

³¹ من تصريح للخبير الأمني واللواء المتقاعد يوسف الشراوي لوكالة أناسول.

وحدة الرواية ووحدة الميدان ووحدة الهدف وحتى وحدة السلاح مدفوعة ومعززة بالنقلة النوعية للتكنولوجيا الاتصالية، كانت من الأسباب الموضوعية للانتصار، إلا أن مجموعة من المعطيات الداخلية والمتغيرات الخارجية ساهمت في هذا الخرق النوعي:

- **الأجيال المقدسية:** يدور الحديث عن شباب في أوائل العشرينيات من أعمارهم، بقصات شعر حديثة، يمارس عليهم كل أشكال التمييز والترهيب والقمع، وهم مدركون جيداً لحقوقهم، ويتمتعون بالجرأة متسلحين بالتكنولوجيا، وجدوا رمزاً للصمود والكبرياء الوطني، وهو القائد محمد ضيف، بعدما كانوا يناشدون العرب والمسلمين لإدراكهم، أدرك هذا الجيل أن ليس ثمة تعويل إلا على مقاومتهم. ولم ينعكس الأمر فقط على الهتاف باسم محمد ضيف أو أبو عبيدة (أبو عبيدة يا حبيب إضرب إضرب تل أبيب)، بل إن هؤلاء الشبان باتوا يستمعون في سياراتهم في القدس، أناشيد حركة حماس، على الرغم أن أحداً منهم لا ينتمي إلى حركة حماس أو أي تنظيم آخر. لكن النبض والعنفوان الشباني انجذب فطرياً للرمز والقائد بغض النظر عن أي خلاف أيديولوجي أو عقائدي. ولطالما كان هذا النبض الشباني هو المحرك في الانتفاضات، إلا أن عقوداً من محاولة دمج المقدسيين في المجتمعات اليهودية وغسل أدمغتهم وطمس هويتهم العربية في حملات ممنهجة صرفت عليها مئات الملايين من الدولارات، كان العدو يراهن عليها كلما تقدمت الأجيال، وما حصل هو أن هؤلاء ارتبطوا أكثر بالمقاومة، وكانوا أجراً في التعاطي مع الاسرائيليين.

- **القوة والقدرة على إيلاء العدو:** لأول منذ حرب أكتوبر 1973 يتعرض الكيان الصهيوني لحرب هجومية، منذ ذلك التاريخ يسجل محور المقاومة انتصارات في حروب دفاعية، لكن هذه المرة نفذت المقاومة الفلسطينية تهديدها. تنفيذ التهديد كان جزءاً من التحفيز لكل مظاهر الانتصارات والانجازات اللاحقة. هذه القوة الميدانية المدعومة بالقوة الإعلامية أظهرت تخبُّطاً واضحاً في إعلام جيش العدو، خاصة أن المقاومة كانت قد حددت أهدافها من القصف الصاروخي وهو وقف عمليات الاستيطان والتعرض للمقدسيين، في حين وسع العدو من عملياته دون تحقيق أهداف عسكرية حقيقية، خاصة بعدما قاموا بقصف برج الجلاء الذي احتوى مكاتب إعلامية عالمية ودولية، إذ شكل نقطة تحوّل محورية في موقف المجتمع الدولي وخاصة الموقف الأمريكي تجاه القتال بين فصائل المقاومة الفلسطينية والكيان الصهيوني.

- **الإدارة الأمريكية الجديدة:** لأول مرة أيضاً كان ثمة أصوات في الكونغرس تهاجم إسرائيل. حيث وصفت "إسرائيل" بأنها دولة فصل عنصري كما قالت عضو الكونغرس إلكسندريا أوكاسيو كورتيز، واتهمت

"إسرائيل" بارتكاب أعمال إرهابية كما عبرت إلهان عمر دون أن يتم مقابلتها بمعارضة من الديمقراطيين. كما أن دعم نتنياهو بين أعضاء الكونغرس -من فيهم العديد من الجمهوريين- أصبح أضعف مما كان يخشى بايدن، الذي لا يريد أن يُتهم بمساعدته على البقاء في السلطة³².

- **خصوصية القدس:** القدس ليست موضع خلاف لا داخلي ولا عربي ولا إسلامي، خاصة وأن كل شيء يتمتع بالقدسية يتمتع بالقوة ولا يتحمل التأويل. كما أن الأحداث اشتدت في العشر الأواخر لشهر رمضان، وهي أيام تتمتع بالزخم الروحي والمعنوي لدى المسلمين، فكيف إذا كان الأمر متعلقًا بالمسجد الأقصى والقدس.
- **الواقع الخليجي:** امتاز التطبيع الإماراتي بالاندفاع إلى أبعد حد في العلاقات والتصريحات دون روادع أو خطوط حمراء، هذا الاندفاع على المستوى الرسمي ولّد قوة دفع عكسية على الصعيد الشعبي سواء داخل فلسطين المحتلة أو الدول العربية بشكل عام. وقد كان لافتًا أن هتافات المقدسين في التظاهرات لم تناشد العرب كما كان معتادًا في السابق، خاصة بعدما أصبح واضحًا الدور السعودي في إحباط المقاومة والدفع نحو التطبيع.
- **الدور المصري:** في لحظة مفصلية مؤاتية، عادت مصر إلى لعب دور أساسي في الصراع الفلسطيني مع الكيان الصهيوني. يمكن ملاحظة التعاطي الإعلامي المصري مع المعركة إذ كان مقتصرًا على التصريحات الرسمية والجهود المبذولة من قبل الدولة المصرية لوقف المعركة، في حين اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي لدى الحسابات المسجلة في مصر، والتي أعطت زخمًا كبيرًا للقضية الفلسطينية على صعيد حركة وسائل التواصل الاجتماعي على المستوى العربي من خارج فلسطين.

الخاتمة:

في ظلّ إحكام الحكومات والشركات الكبرى قبضتها على وسائل الإعلام التقليدي، جاء التطور الاتصالي ليحرر الوقائع ويخرجها من التأطير والتعتيم الإعلامي إلى التفاعل العالمي. بعد معركة مواقع التواصل الأخيرة أو ما أسماه البعض بـ "انتفاضة تيك توك"، لم تعد القضايا ذات بعد محلي، بل أصبحت عالمية، وتعززت الهوية العربية للقدس بل أصبحت القدس هوية افتراضية عالمية. وإذا كان الصراع في هذا العالم هو صراع هويات وأيديولوجيات اجتماعية وسياسية واقتصادية، فإن مجموعة من الصراعات التي حصلت مؤخرًا في العالم قد أثبتت أن الحروب النفسية

³² محمد المنشاوي، قراءة في تطور موقف بايدن من الحرب الإسرائيلية على غزة، الجزيرة، واشنطن، 20 مايو 2021.

والترويج الثقافي والسياسي والايديولوجي قد انتقل إلى هذه الفضاءات الإلكترونية، وهي تحتم على جميع أطراف الصراع أن ينتقلوا معها ضمن استراتيجيات ذكية ومواكبة لبيئة دائمة التطور والتحول، بشكل أصبح مذهلاً ومفاجئاً للقدرة التي يمكن أن يقدمها مجاًناً، والتي لا بد أن تستفيد منها حركات المقاومة والممانعة لإظهار جانبها من الرواية، وتعميم تجاربها، وتصدير معتقداتها.